الجزء الثاني

الباب الخامس

النهضة الأوربية والتربية الأدبية

فى القرن السادس عشر

ما كاد القرن الخامس عشر يستكمل مدته ، حتى ظهرت فى العالم أمارات يمن وعلامات خير ، تبشر بأن العصور المظلمة الطويلة عصور الجهل والظلم والاستبداد قد تقلص ظلها ، وتقشعت سحبها ، وأن عصوراً أخرى زاهية زاهرة أخذت تشق حجب الظلمات ، وتشرق على الإنسان بنور العلم وضياء الحرية ، تلك هى عصور النهضة الأوربية فى أعلى منازلها وأبهى حالاتها .

جاءت النهضة فجاء معها العلم والنور ، وتغيرت لها وجوه السياسة وأحوال الاجتماع ، ونهضت المدنية الغربية ، ووجدت الحرية سبيلها إلى النفوس ، حتى أجمع رجال العلم على أنه لم يعهد فى تاريخ البشر حادث له من التأثير فى إعلاء شأن الإنسان ورفع مدنيته وإصلاح أحواله مثل ما لهذه النهضة .

وقد اختلف المؤرخون فى تعيين مبدأ هذه النهضة ، فمن قائل إنها ابتدأت منذ القرن الثالث عشر ، ومن قائل إنها ابتدأت بعد ذلك ، ولكنهم جميعاً متفقون على أنها عاشت فتية قوية فى القرنين الرابع عشر والخامس عشر ، وبلغت غاية مجدها فى القرن السادس عشر . على أنها لم تأت مفاجأة ولم تباغت الناس مباغتة ، وإنما تقدمتها حوادث كثيرة مهدت لها الطريق ، وساعدت على ظهورها وانتشارها فى جميع القارة الأوربية . وإليك أهم هذه الحوادث :—

(١) إحياء الآداب والمعارف القديمة : وقد كان ذلك أكبر عامل فى ظهور النهضة ، فإنه فتح للناس كنوز الآداب الإغريقية والرومية ، ومهد سبلاً جديدة للتربية والتهذيب ، ونبه على معايب التربية الكَنَسِيَّة القديمة ، وبعث فى النفوس حب

البحث والتنقيب ، وساعد على تحرير الفكر وفك قيوده . هذا إلى أثره فى إضعاف سلطان الكنيسة ، والقضاء على ما تمتع به رجال الدين من السيطرة والنفوذ .

(٢) اختراع البارود : وقد تغيرت له النظم الاجتماعية السائدة فى القرون الوسطى ، إذ قضى على نظام الفروسية ذى الشأن الخطير فى تلك القرون ، وسَلَبَ الفُرسان ما كان لهم من النفوذ والسلطان فى هاتيك الأزمان ، ونهض بالطبقة المنتجة طبقة الزراع والصناع إلى غاية ما كانت ظنونهم تحوم حولها لولا ما أحدثه من هـذا التغيير وذاك الانقلاب . كان الفارس الواحد قبل اهتداء الناس إلى استخدام البارود إذا لبس لأمته وركب جواده وذهب إلى ميدان القتال شاكى السلاح ، رأى الناس فيه من البأس والقوة ما كان يظهر به على جماعات كثيرة من مشاة الجنود ، ولذلك كانت قوى الجيوش تقاس فى تلك الأزمان بعدد من فيها من الفرسان المدربين . فلما اخترع البارود واهتدى الناس الى استخدامه فى القرن الرابع عشر ، حالت الأحوال وتغيرت الأمور ، فأصبح الجندى الضعيف من الجنود المشاة المؤهبين بالبنادق أصدق بأسًا ، وأجدى فى الحروب من الفارس المدل بجواده ولباسه . لذلك لم يك ثَمَّ بد من خذلان نظام الفروسية وانحطاط شأنها .

(٣) كشف القارة الأمريكية والطرق البحرية إلى جزائر الهند الغربية : فقد كان لذلك أعظم فضل فى انتشار العلم وتوسيع المعارف الإنسانية ، ونبـذ الخرافات السائدة ، واتساع الأعمال التجارية وسيرها فى طرق جديدة .

(٤) اهتداء كوبرنيق الألمانى (١٤٧٣ - ١٥٤٣) إلى وضع نظام فلكى جديد أثبت فيه أن الأرض تدور حول الشمس ، ناقضًا ما ذهب إليه بطليموس قديمًا من أن الأرض مركز الكون .

(٥) اختراع فن الطباعة فى أواسط القرن الخامس عشر : وهو من أعظم هذه الأمور أثراً ، فقد ساعد على نشر العلوم والمعارف مساعدة يقصر دونها الوصف . كان الناس فى الأزمان القديمة يحملهم الحرص على نشر المعارف أن ينسخوا الكتب العظيمة والمجلدات الضخمة بأيديهم ، فيقبل الناس على شرائها رغبة فى الاغتراف من حياض

العلم ، إلا أن أثمانها كانت غالية لا يقدر عليها إلا ذوو اليسار ، فضلاً على ندرتها وعناء النُّساخ فى كتابتها ، فلما اخترعت الطباعة كثرت الكتب ورخصت أثمانها ، وأصبح فى وسع الفنى والفقير شراؤها والانتفاع بها .

كل حادثة من هذه الحوادث التى سردناها كانت عاملا فى رفع الحياة الإنسانية إلى مستوى أرفع وأعلى مما كان لها فى العصور السابقة ، حتى إذا جاءت النهضة وجدت الطريق معبَّداً ، فسارت بالناس فى نشأة جديدة من الفكر والخُلُق والدين .

إحياء الآداب والمعارف

النهضة الأدبية

إن إحياء العلوم والمعارف القديمة الذى ابتدأ فى إيطاليا وانتشر منها إلى جهات الشمال وكان له من الآثار فى تحرير الأفكار ورفع مستوى الحياة بين الناس ما قدمنا هو الوجه الأدبى للنهضة ، والمنحى الذى يَعْنِى رجال التربية من مناحيها المختلفة . ولذلك نرى الحاجة ماسة إلى تفصيل نشأته فى أشهر الممالك الأوربية .

النهضة الأدبية فى ايطاليا : —

كانت إيطاليا أسبق الممالك إلى الأخذ بأسباب النهضة الأدبية ، والعمل على إحياء الآداب الإغريقية واللاتينية . وأول من ظهر فيهم روح هذه النهضة وفكوا من أعناقهم قيود العصور المظلمة وحاربوا التقاليد القديمة ، ثلاثة من أكبر كتاب الايطاليين فى القرن الرابع عشر ، هم دَانْتى . و بِتْرارْك . و بُوكَشْيُو .

دانتى

رأى هؤلاء ما امتلأت به كتب الأقدمين من العلوم والمعارف التى تسمو دراستها بالفكر وتنهض بالحياة ، و بان لهم أن اليونان والروم بحثوا فى مسائل الحياة ومشاكلها ؛ وفهموا منها ما لم يفهمه رجال العلم فى القرون الوسطى ،

فتاقت نفوسهم إلى مطالعة آدابهم ودراسة علومهم ، فعكفوا عليها برغبة خالصة ، وعزيمة صادقة ، وبذلوا ما استطاعوا من جهد فى تحصيلها واقتناء أسفارها ، ثم أخذوا فى تشويق الناس اليها وترغيبهم فيها ، فخالفهم التوفيق وصادفهم النجاح ؛ ونشروا بين شعبهم من المبادئ القويمة ما بعث فيهم حرية التفكير ، وحُبَّ البحث والتنقيب ، وكرَّهَ إليهم

بِترارك

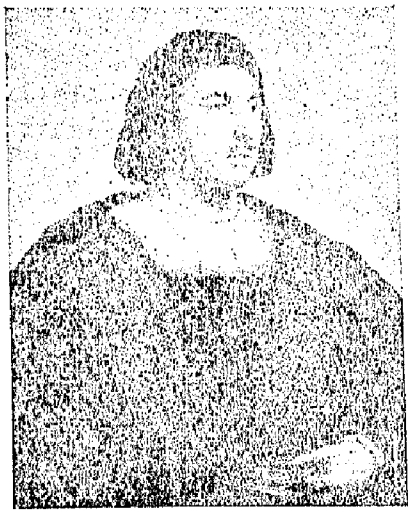

بُوكَشْيو

التعلق بالخرافات القديمة التى كان يذيعها بينهم رجال الدين . وما لبثوا أن ذاع صيتهم وسار ذكرهم فى أرجاء المعمور ، فهرع إليهم الطلاب من قريب وبعيد ، فأخذوا عنهم ثم عادوا إلى أوطانهم فنشروا فيها مبادئ الحرية الفكرية ، وغرسوا بذور النهضة الأدبية ، فنمت هناك وأنبتت من كل زوج بهيج .

كانت عناية هؤلاء الأبطال الثلاثة باللغة اللاتينية تفوق عنايتهم باللغة الإغريقية ، فتقدمت بذلك دراسة الأولى فى البلاد الإيطالية تقدماً عظيماً . وبقيت اللغة الإغريقية أزماناً وهى بطيئة السير ، قليلة النجاح ، على الرغم من الرغبة الشديدة فى معرفة ما احتوته من آداب ومعارف . وأول من نهض بدراسة هذه اللغة نهوضاً يذكر فى الممالك الغربية رجل إغريقى يدعى « مَنْوِيل كرِسُولُوراس » جاء إلى إيطاليا واستوطنها سنة ١٣٩٦ ، فرغب إليه الأهلون فى تدريس لغته فى مدارسهم فارتاح إلى العمل

وقبله ، فنصبوه أستاذاً فى جامعة فلورنس حيث اشتغل بتدريس هذه اللغة من سنة ١٣٩٧ إلى سنة ١٤٠٠ ، ثم غادرها إلى جامعات أخرى فى المملكة الإيطالية أيضاً . ولقد أتى بأعمال عظيمة أثناء اشتغاله بالتدريس ، فترجم كتباً إغريقية كثيرة إلى اللغة اللاتينية التى ذاع انتشارها بين الإيطاليين ، وألف كتباً ورسائل فى قواعد اللغة الإغريقية ، وأسس جملة من المدارس ، ونبغ على يديه كثير من الطلاب الذين كان لهم فيما بعد آثار تذكر فى نشر الآداب والمعارف القديمة فى هذه البلاد . ولقد لحق بهذا النابغة الإغريقى كثيرون من أهل وطنه ، فَنُصِّبوا أساتذة مثله وشاركوه فى عمله .

ولما أغار الأتراك على القسطنطينية وفتحوها سنة ١٤٥٣ وكانت لا تزال حافلة بعلماء الإغريق ، تخوف هؤلاء شرور الدولة المغيرة ، وحَذِروا ما قد ينالهم من عسف واضطهاد ، فهاجر كثير منهم إلى المدن الإيطالية ونقلوا معهم كثيراً من الكتب الإغريقية النفيسة التى لم تكن معروفة لغيرهم من علماء أوربا ، فرحب الايطاليون بمقدمهم ، وأكرم الأمراء والأعيان وفادتهم ، ونصبوهم أساتذة فى المدارس والجامعات ، فأقبلوا على العمل وأفلحوا فى تشويق الناس إلى علومهم ، واستمالة الطلاب إلى آدابهم ، وكثرت الرحلة إليهم فى طلب العلم ، حتى لقد أتى عليهم حين من الدهر وهم يُدْعَوْن أساتذة أوربا ومعلميها . وقد أخذ الأمراء والبابوات يتنافسون فى معاضدتهم ومعاونتهم فى العمل الذى قاموا به ، فجمعت الكتب القديمة ، وفحص عن المنسوخات فى الكنائس والأديار ، وترجم منها إلى اللاتينية والإيطالية عدد وفير ، وأسست المجامع العلمية ، وأنشئت المدارس ، وبنيت دور الكتب ، وفاضت المدائن بالعلوم والآداب . ومن البابوات الذين لهم أثر حسن فى إنهاض هذه الحركة (نقولا الخامس) ، فهو الذى أنشأ دار الكتب البابوية (مكتبة الفاتيكان) الذائعة الصيت فى رومة ، وجمع لها من المنسوخات الإغريقية واللاتينية ما عز وجودُه ، وامتلأت به خزائنها . ومنهم أيضاً (يوليو العاشر) فبفضل معاضدته وتشجيعه هذه الحركة المباركة أصبحت رومة فى زمنه كعبة العلوم والاداب القديمة ، يؤمها الطلاب و يَنْسِلون إليها من جميع الأرجاء الأوربية ليأخذوا عن علمائها ما شاءوا أن ينقلوه إلى بلادهم وأوطانهم .

آثار النهضة الأدبية فى ايطاليا :

لا ننكر أن النهضة الأدبية رفعت من شأن الحياة الفكرية فى إيطاليا ، وروجت سوق العلوم والآداب فيها ، وشفت أهلها من داء الجهل الذى ساد العقول فى القرون الوسطى ، إلا أن ذلك – والأسف ملء القلوب – كان على حساب الفضيلة والدين . غلا الإيطاليون فى حريتهم الفكرية ، وأورثتهم دراسة الآداب القديمة عقائد وآراء جديدة فى الدين والدنيا ، وأوّلوا ما وضعه زعماؤهم من الآداب والمبادىء تأويلاً يلائم أهواءهم ونزعاتهم الشهوانية ، فمالوا إلى الإلحاد ، ورجعوا إلى كثير من تقاليد الوثنية القديمة ، وحادوا عن الأصول المسيحية الصحيحة ، وانغمسوا فى الملاذ والشهوات ، وتورطوا فى الفسوق والعصيان . وقد يرجع السر فى ذلك إلى أمرين : – أولهما ما انتشر بين رجال الدين فى ذلك الوقت من أنواع الإثم . وثانيهما ما فطر عليه الإيطاليون من السجايا الملتهبة والطبائع النزاعة الى الشهوات

لم يكن هذا الفساد مقصوراً على طائفة دون أخرى ، بل كان فاشيًا بين جميع الطبقات لا فرق بين رجال الدين وغيرهم . يدلك على ذلك أن البابا « ليو العاشر » قرر على ملأ من الناس ما دل صراحة على أن أمر المسيح لم يكن سوى خرافة تناقلتها الأجيال الماضية ، وكان لها من الآثار الجليلة ما عاد على الناس بالخير والفلاح . ولقد حذا حذو البابا ليو العاشر كثيرون من القساوسة وأنصار الكنيسة ، فأهملوا أمر الدين وتمشى الإلحاد فى نفوسهم ، وقلت مبالاتهم بالوقيعة فى الدين والنيل منه ، فكان ذلك إلى أسباب أخرى عاملاً على نبذ التكاليف الدينية ، وانتشار الروح الوثنى بين أفراد الشعب الإيطالى .

النهضة الأدبية فى الممالك الشمالية

ابتدأت النهضة الأدبية فى إيطاليا و بلغت فيها أعلى منازلها ، ومكثت أزمانًا طويلة لا يشرق نورها فى غير هذا المكان ، ولكن قضى الله ألا تستمر هذه الحركة المباركة زاهية فتية بين الإيطاليين ، فذهبت قوتها ، وركدت ريحها ، وضاع ما كان لها من

بهجة ورواء . على أن سراجها لم يكد ينطفىء فى هذه البلاد حتى سطعت طوالعها فى جهات أخرى من جهات المعمور ، ففى منتصف القرن الخامس عشر أخذت كتب الآداب القديمة بفضل اختراع المطابع تنتشر بين الناس فى جميع الأرجاء الأوربية ، وما هى إلاّ أوقات قصيرة حتى تخطت النهضة جبال الألب وسلكت سبيلها إلى فرنسا وألمانيا وانجلترا واسبانيا والبرتقال وممالك أخرى كثيرة . وكان بدء ذلك أن رحلت طائفة من رجال النهضة وعلمائها فى إيطاليا إلى الجهات الشمالية ، فأقاموا هناك ، وأخذوا ينشرون علومهم الحديثة و يستميلون الناس اليها ، فرغب القوم فيها وعملوا على ترويجها وأخذوا يدعون غيرهم من علماء الإيطاليين الذين لبوا سراعًا وجاءوهم أفواجًا . وتلا ذلك أن رحل كثير من الطلاب فى الممالك الشمالية إلى إيطاليا لتحصيل هذه العلوم ، فامتلأت بهم المدن الايطالية حتى إذا أبردوا غلتهم عادوا إلى أوطانهم فنشروا بين أهليها ما أتوا به من علوم ومعارف . وما كاد القرن الخامس عشر تنقضى مدته حتى كان للنهضة من الأعوان والأنصار خارج شبه الجزيرة عدد وفير . وفى غضون القرن السادس عشر بلغت هذه الحركة الطيبة أقصى غاياتها فى ممالك الشمال

آثار النهضة الأدبية فى ممالك الشمال

كانت آثار النهضة الأدبية فى ممالك الشمال تختلف كثيراً عنها فى موطنها الذى ولدت فيه ، فلم يتسرب إلى أهلها ذلك الروح الوثنى ، ولم يجد فساد الأخلاق إلى نفوسهم سبيلاً . أضف إلى ذلك أن النهضة الأدبية قد ساعدتهم على إصلاح عقائدهم الدينية وتخليص المسيحية من بعض ما شابها من خرافات وأباطيل . ويرجع السر فى ذلك إلى ما طبع عليه أهل الشمال و بخاصة الألمانيون منهم من اعتدال الأمزجة ورسوخ الفضائل وشدة العناية بالمحافظة على الدين والآداب ، إلى غير ذلك من الصفات التى صار بها الألمانيون فى طليعة الأمم ، والتى ساعدتهم على أن يجنوا خيراً من حيث جنى الإيطاليون شرًّا .

ومن وجوه الاختلاف بين النهضتين أن النهضة فى إيطاليا كانت تعمل على رفع حياة

الفرد وتحصيل الفوائد الشخصية ، ولكنها فى المانيا كانت مصروفة إلى رفع مستوى الحياة الاجتماعية و إصلاح أحوال الجماعات ، ولا سيما ما يتعلق منها بالأخلاق والدين .

التربية الأدبية والنهضة

يراد بالتربية الأدبية تلك التربية التى جاءت بها النهضة ، والتى عمادها دراسة اللغات والآداب الإغريقية واللاتينية ، إلا أن هذه التربية لم تكن على نسق واحد فى جميع أزمان النهضة ، ففى الأزمان الأولى كانت واسعة النطاق ، نبيلة الأغراض تشبه ما كان معروفاً عند قدماء اليونان والروم بالتربية الكاملة . وفى العصور الأخيرة من عصور النهضة ضاق نطاقها وأصبحت لا غرض لها إلا تكوين رجال يُجيدون اللاتينية والإغريقية ، ويحسنون الخطابة والكتابة بهاتين اللغتين ، ولذلك سميت بالتربية الأدبية القاصرة . و إليك تفصيلاً شافياً يشرح لك حقيقة كل من التربيتين .

(١) التربية الأدبية الكاملة فى أوائل النهضة

فى العصور الأولى من عصور النهضة أقبل الناس على دراسة اللغات القديمة وآدابها ، وشُغِفوا بإحياء الآداب الإغريقية واللاتينية ، إلا أن ذلك كله لم يكن غرضاً فى نفسه ، ولا غاية مقصودة لذاتها ، بل كان وسيلة إلى إحياء نوع من التربية سلكته أمة اليونان قديماً ، وتابعتها فيه دولة الروم . تلك هى التربية المعروفة عند القدماء بالتربية الكاملة التى تعمل على إنماء جميع القوى الكامنة فى الإنسان جسمية وعقلية وخلقية ، والتى ترمى إلى تكوين رجال قادرين على الاشتراك فى أنبل أعمال الحياة الاجتماعية . ولذلك كانت رسائل المربين فى العصور الأولى من عصور النهضة ممتازة عن رسائل المتأخرين بإحياء فكرة هذه التربية الكاملة واختيار أغراض لها تشبه الأغراض التى وضعها المربون الإغريقيون واللاتينيون . على أن كتاب هذه الرسائل كثيراً ما كانوا يقتبسون عند تعريف التربية وذكرِ أغراضها نفس العبارات والألفاظ التى سبق الى استعمالها فى ذلك أفلاطون وأرسطوطاليس وكُوِنْتِلْيان وغيرهم من أساطين الأمتين

غاية هذه التربية : كتب « پولس فِرْجِرياسْ » (١٣٤٩ — ١٤٢٠) أحدُ الأساتذة فى جامعة پادوا رسالة فى التربية سنة ١٣٧٤ كان لها شأن عظيم فى البلاد الإيطالية ، حتى لقد بلغ من عناية المربين بها وإعظامهم قدر ما جاء فيها أن أوجبوا قراءتها فى المدارس ، وحتموا دراستها دراسة وافية متقنة .

تناول فرجِرياس فى هذه الرسالة أغراض التربية فقرر أن التربية الكاملة هى التى ترمى إلى تكوين نفوس حرة حكيمة مهذبة ، والتى تعمل على إثارة ما فى الإنسان من القوى الجسمية والعقلية والخلقية على وجه منتظم متناسق . ولقد فرق بين هذه التربية الكاملة وتلك التربية العملية المحضة التى مال كثير من الناس إليها فى تلك الأزمان فى قوله « إن النفوس المنحطة الدنيئة هى التى ترى غاية الحياة فى تحصيل المنافع والملاذ ، أما النفوس العالية النبيلة فهى التى ترنو إلى الفضيلة والصيت البعيد » .

انتقل فرجرياس من البحث فى أغراض التربية إلى موضوعات الدراسة وأساليبها فأسهب فى ذلك أى إسهاب ، ولا عجب فإنه من هاتين الجهتين كان الخلاف الظاهر المحسوس بين التربية الكاملة وتربية القرون المظلمة .

خواص هـذه التربية : تمتاز التربية الكاملة بجملة أمور كانت مرعية عند اليونان والروم ، مهملة كل الإهمال فى القرون الوسطى وإليك بيانها : —

(١) الحرص على دراسة اللغات والآداب القديمة ، واتخاذ ذلك وسيلة إلى تكوين رجال قادرين على القيام بواجبات الحياة الاجتماعية .

(٢) إحياء التربية الجسمية بعد أن أهملت فى القرون الوسطى ، ولقد كان هذا الإهمال نتيجة التربية السائدة فى هذه الأزمان ، فإن المربين فى تلك القرون كانوا ينحون بالتربيـة منحى دينياً محضاً ، ويرون غايتها إعداد النشء للحياة السعيدة فى الدار الآخرة ، فاستتبع ذلك إهمال الجسوم .

(٣) العناية بالسلوك والأخلاق ، والعمل على تربية قوى الحكم فى النشء تربية عملية تسهل عليهم الفصل فيما يعرض عليهم من الحوادث .

(٤) الاهتمام بالجانب العملى الاجتماعى من الحياة .

(٥) العناية بالفنون الجميلة وأخذ النشء بما يساعدهم على إدراك حسن الأشياء ومعرفة وجوه الجمال فيها ، فإن هذا هو مثار اللذات النقية ، ومنبع السعادة الحقيقية . وقد دعا رجالَ القرون الوسطى إلى إهمال هـذا ما ساد فيهم من الميل إلى الزهد ، والرغبة فى الابتعاد عن ملاذ هذه الحياة .

(٢) التربية الأدبية الخاصة

فى أوائل القرن السادس عشر أخذ الناس يدرسون اللغات لذاتها ، ويرونها غرضاً مقصوداً فى نفسه ، لا وسيلة إلى حياة حرة فاضلة مملوءة بالأعمال الصالحة النافعة كما كان يراها أهل العصور الأولى من عصور النهضة ، فأنتج هذا التغيير نوعاً قاضراً من التربية يرمى إلى تكوين رجال يلهجون بلغة لاتينية فصيحة بليغة . وقد نال هذا النوعُ الجديد من التربية قبولاً عند الناس ، فنَسُوا به تلك التربية الكاملة واحتفظوا به أجيالاً عدة حتى لقد دام سلطانه قوياً فى المدارس الأوربية من بداية القرن السادس عشر إلى منتصف القرن التاسع عشر ، وحتى أصبحت التربية الأدبية متى أطلقت لا تنصرف إلاّ إليه .

وجوه القصور فى هذه التربية : لم يكن لتربية الأجسام نصيب يذكر فى هذه التربية ولم يعمل فيها المربون عملاً ذا بال فى سبيل إعداد النشء للحياة الاجتماعية الصالحة ، فلم يدرسوا لهم تاريخاً ولا اقتصاداً ولا غيرهما من علوم الاجتماع ، ولم يأبه أحد من رجالها بدراسة ظواهر الطبيعة وآثار الوجود . أما الفنون الجميلة التى نالت منزلة سامية فى التربية الكاملة فإنها نزلت إلى أحط منازلها ، ولم يبق منها إلاّ ما هو خاص بملاحة التراكيب وجمال الأساليب فى اللغة اللاتينية . ولقد أصبح غرض التربية منحطاً مقصوراً على تحصيل اللغات القديمة ومعرفة آدابها ، وتخريج خطباء مفوّهين وكُتّاب مجيدين . وقد بلغ هذا الانحطاط غايته فى القرن السابع عشر ، حين أصبح التعليم فى المدارس لا يزيد على دراسة تمرينات مطولة فى قواعد هذه اللغات وأساليبها من غير عناية بما حوته من معان وأفكار .

غاية هذه التربية ومناهجها وأساليبها : غاية هذه التربية معرفة الآداب القديمة وإجادة اللغة اللاتينية كتابة وكلاماً . ومواد دراستها تكاد تنحصر فيما يأتى : —

(١) تمرينات مطولة فى قواعد اللغة اللاتينية .

(٢) مختارات من منثور هذه اللغة ومنظومها مع فضل عناية بنماذج من كلام شيشيرون

(٣) قطع تختار من التوراة والإنجيل .

(٤) بعضٌ مما كتب باللغة اللاتينية فى قواعد الإيمان .

(٥) بعضٌ من الرسائل الدينية المحررة باللغة الإغريقية .

ولعلك بما تقدم ترى ما فى هذه المناهج من القصور والرجوع بالتربية إلى دائرة ضيقة لا تفتح للإنسان مسلكا للنجاح فى هذه الحياة .

أما أساليب التعليم فلم يُراع فيها طبائع الأطفال ، وكان المربون يرونهم صوراً مصغرة للرجال ويزعمون أن مداركهم وإن اختلفت عن مدارك هؤلاء فى القوة لا تختلف عنها فى النوع . ومن ثم كان الطفل بمجرد مجيئه إلى المدرسة يؤخذ بتحصيل اللغة الأجنبية قبل أن يعرف لغته قراءة وكتابة . وكان الأساس فى تعليم اللاتينية دراسة القواعد ، والاعتماد على الحوافظ ، وتحميل القوى العقليـــة الضئيلة ما لا تطيق من التمييز بين التراكيب والأساليب . لذلك لم يكن عجباً أن كانت أعمال التربية شاقة على المعلمين مبغَّضة إلى التلاميذ . ومما زاد الطين بِلة ذلك النظام القاسى الشديد ، وتلك العقوبات البدنية التى جرى عليها المربون فى حمل تلاميذهم على التحصيل وحسن السلوك .

رجال التربية الأدبية فى إيطاليا أزمان النهضة

من أكبر رجال التربية الأدبية فى إيطاليا « بِتْرارك » (١٣٠٤ - ١٣٧٤) ، و « بُوكَشْيُو » (١٣١٣ - ١٣٧٥) ، و « بَرْزِيزا » (١٣٦٠ - ١٤٣١) ، و « فِترينو » وغيرهم ، وقد سبق لنا كلام مجمل فى بعض هؤلاء . ولنذكر الآن كلمة مفصلة عن فِترينو نشرح بها أعماله فى التربية لتكون مثالاً لأعمال الآخرين

فِتْرِينُو

هو عمدة المربين الإيطاليين ، وزعيم التربية الأدبية فى هذه البلاد ، وأول أستاذ من أساتذة المدارس ظهر فيه الروح الجديد والمبادئ الحديثة التى جاءت بها النهضة ، ولم ينل شهرته هذه من طريق الكتابة والتأليف فى موضوعات التربية ، فإن رسائله ومؤلفاته قد بادت جميعها ولم يبق له شىء منها ، وإنما يرجع السر فى عظمته وبُعْد صيته إلى ما كان له من التأثير فى تلاميذه ، وما كان لمدرسته من الآثار الخالدة الباقية .

كان ڤترينو من الذين أنجبتهم النهضة فى عصورها الأولى . وقد ولد سنة ١٣٧٨ وتوفى سنة ١٤٤٦ ، وصحب بَرْزِيزا زعيم النهضة الأدبية اللاتينية ، واشتغل بالتعليم الخاص فى پادوا ، وڤنيس ، ونَصَبَ نفسه للتدريس العام مدة فى جامعة پادوا قبل إنشاء مدرسته التى رفعت ذكره ، وخلدت أثره . وحديث هـذه المدرسة أن أمير «مَنْتُوَا» رغب أن يكون فى قصره مدرسة على النمط الحديث تدرس فيها العلوم الجديدة ، وتُنافس ما فى قصور الأمراء المجاورين له من المدارس المنشأة على هذا الطراز ، فدعا إليه ڤترينو سنة ١٤٢٨ وأطلعه على ما فى نفسه ، وطلب إليه أن يقوم بإنشاء المدرسة ، فلبى الطلب ، ومضى الى العمل ، وكان ڤترينو إذ ذاك فى الخامسة والأربعين من عمره ، معروفاً بالصلاح والتقوى ، ضليعاً فى علوم النهضة ، حجة فى الآداب الإغريقية واللاتينية والرياضة ، ممتازاً بالكفاية والدراية بأعمال التعليم ومقاصد التربية .

ابتدأ ڤترينو مدرسته ولم يجعلها وقفاً على أولاد الامراء والاعيان فى مدينة «منتوا» كما كان القصد من إنشائها ، بل أدخل إليها بترخيص من أميره أولاد أصدقائه وأحبائه ، ومن شام فيهم مخايل النجابة من أولاد الفقراء . وكان لتلاميذه جميعاً كالأب الرحيم يساكنهم ويتفقد طعامهم وشرابهم وثيابهم ، ويُعنَى بصحة أبدانهم وقوة جسومهم ، ويشاركهم فى ألعابهم ومسراتهم ، ويعطف عليهم فى بأسائهم وضرائهم . وقد كان عظيم العناية باختيار مدرسيه ، شديد الاحتراس عند انتقاء خدمه ، مخافة أن تسرى الأخلاق الفاسدة إلى التلاميذ ، ورغبة فى الوصول بآدابهم إلى أرقى ما يستطاع لها من درجات الكمال .

أما أغراض التربية فى هذه المدرسة فحدث عن نبلها ولا حرج ، فقد قصد ڤترينو أن ينمى فى تلاميذه جميع القوى الكامنة فيهم جسمية وعقلية وخلقية على وجه منتظم متناسق وفى آن واحد ، بحيث لا تهمل واحدة من هذه القوى على حساب غيرها . وهذا بعينه ما كان يقصد إليه قدماء الإغريق فى تربيتهم الكاملة . ولقد كان من أكبر مقاصده أن يجعل تلاميذه رجالَ جِدّ وعمل قادرين على مغالبة الحوادث وتصريف الأمور ، لا محضَ خطباء يُدلُّون بما فيهم من بلاغة منطق وحسن بيان . لذلك صرف أكثر عنايته إلى الجانب العملى الاجتماعى من حياة الإنسان .

مناهج الدراسة وأساليبها فى مدرسته

رأى ڤترينو أن فى دراسة آداب الإغريق والروم عونًا على تحصيل غاياته من التربية ، فاهتم بتعليم تلاميذه لغتى هاتين الأمتين ، وابتكر من أساليب التعليم ما جعل التحصيل سهلاً سريعًا . ذلك أنه ابتدأ باللغة اللاتينية وحدها ، فجعل يعلمها التلاميذ بمجرد دخولهم فى مدرسته ، ويحرص كل الحرص على جعلها لغةَ الحديث بين الأطفال من الصغر ، ووسيلةَ التخاطب بينه وبين تلاميذه . وكان يأخذ المبتدئين منهم بتمرينات فى تجويد حروفها وحسن النطق بكلماتها ، حتى إذا قاربوا العاشرة من أعمارهم أخذهم بحفظ مختارات من شعرها ونثرها ، وراضهم على إلقائها إلقاء يتمثل فيه الفهم الصحيح والأداء الحسن . وكان يتدرج بهم فى هذه المحفوظات من السهل إلى الصعب ، ومن المختارات القصيرة إلى الطويلة ، على حسب تدرجهم فى السن ، وارتقائهم فى المدارك . ولقد زودتهم هذه المحفوظات بمعارف وافرة فى متن اللغة اللاتينية ، وبصرتهم بأساليبها الصحيحة الراقية ، وعودتهم حسن النطق وجودة الإلقاء ، فلا غرو أن كانت أقوى وسيلة فى تحصيل هذه اللغة . وكان إذا وصل بتلاميذه إلى درجة راقية فى هذه اللغة أخذهم بدراسة المؤلفات اللاتينية ، واختار لهم من بينها أعذبها لفظًا وأفصحها أسلوبًا ، ولا يلبث بعد ذلك أن ينتقل بهم إلى دراسة الآداب الإغريقية دراسة واسعة .

ومن المواد التى اهتم أيضًا بدراستها الرياضة ، وقد درسها لتلاميذه بشىء من

التوسع ، ولا سيما ما يتعلق منها بالرسم ومسح الأرض وهندستها . وكان يعتمد فى تعليمه على الإملاء لأن الكتب فى زمنه كانت قليلة نادرة صعبة المنال . ومما عاونه على النجاح فى أعماله عنايته بدراسة طبائع الأطفال ، وحرصه على تعرف ما كان يظهر فيهم من أنواع الاستعداد ، واهتمامه بالنظر فى مستقبل تلاميذه واحداً واحداً . كل ذلك ساعده على أن يختار لكل تلميذ من مواد الدراسة وأساليبها ما يلائم طبعه واستعداده . وبذلك كان منهاج الدراسة فى مدرسته مارنا جداً .

هذه أعماله فى التربية العقلية . أما التربيتان الجسمية والخلقية فلم يكن نصيبهما من عنايته واهتمامه بأقل من تلك ، فقد كان يأخذ تلاميذه بتمرينات مدرجة فى الطعان والمصارعة والرقص ولعب الكرة والجرى والوثب ، وكان له فى جميعها القدح المعلى ، يحسنها ويجيدها كل الإجادة . فلا عجب أن عشق تلاميذه الأعمال الجسمية والألعاب النافعة فى إصلاح الأبدان وتعويدها الخفة والرشاقة فى الحركات والسكنات ، فإن غرام الأستاذ بفن من الفنون يسرى منهُ إلى تلاميذه . على أنه لم يكن يقصد بهذه التمرينات الجسمية سوى استمالة القوى العقلية إلى أعمالها ومساعدتها على النماء والارتقاء .

كذلك بالقدوة الطيبة والنصح والإرشاد ، كان يحمل تلاميذه على تقوى الله وخشيته ومراعاة أحكام الدين والسير فى حدودها . ولقد بَقِىَ ڤترينو فى هذه المدرسة يعمل على إعلاء شأنها وإسعاد تلاميذها حتى مات سنة ١٤٤٦

المربون الألمانيون فى أوائل النهضة

من أوائل رجال النهضة الأدبية فى ألمانيا « چون فِسِل » (١٤٢٠ – ١٤٨٩) . و« رُودُلف أجْرِيكولا »(١٤٤٣– ١٤٨٥) . و« الِكسَنْدر هِجْيَس »(١٤٢٠–١٤٩٥) . و « چون رِتْشِلِن » (١٤٥٥–١٥٢٢) . و « يعقوب وِمْفِلِنْج » (١٤٥٠ – ١٥٢٨) . وجميعهم يعدون فى الطبقة العليا بين المربين الألمانيين . وترجع عظمتهم فى عالم التربية إلى ماهم من الآثار الحميدة فى تشجيع العلوم الحديثة ، ونشر الروح الجديد بين الطلبة الألمان ، اكثر مما ترجع إلى تكوين آراء خاصة فى التربية ، أو وضع أنظمة جديدة تسير عليها المدارس .

إِرَزْمَس

هو دِزَيْدِرْيَس ارزمس أشهر زعماء النهضة الأدبية ، وأنضج أهل زمانهِ فكراً ، وأصفاهم ذهناً ، وأحدهم خاطراً . كان وهو حدَث متوقد الذكاء حاضر البديهة حتى تنبأ كثير من أستاذيه ومعلميهِ أن سيكون له فى مستقبل حياتهِ شأن عظيم . ومما يؤثر فى ذلك أن أحد معلميهِ من فرط إعجابهِ بذكائهِ أقبل عليه ذات يوم فاحتضنهُ وقال له : « ستصل يومًا ما إلى أرفع قمم العلوم والمعارف » . ورآه رودلف اجريكولا وهو فى الثانية عشرة من عمره ، فشام فيه من دلائل الذكاء ومخايل النجابة ما لم ير مثله فى حدث غيره ، فقال له : « ستكون يا بنى فى يوم من الأيام عظيماً من عظماء الرجال » ، وذلك تنبؤ ما كان أسرع الأيام إلى تحقيقه وتصديقه .

إِرَزْمَسْ

منشؤه ومرباه :

ولد إرزمس سنة ١٤٦٧ فى مدينة رُتَرْدام إحدى المدن الشهيرة فى الأراضى المنخفضة . وهو يمت إلى الألمان بصلة ، فإنهُ ينتمى إلى الجنس التيتونى . وقد يتمتهُ الأيام صغيراً ، فوضعهُ أوصياؤه فى دير يتعلم فيهِ ليكون فيما بعد راهباً ، وعلى الرغم من مقته حياة الرهبنة أقبل على الدراسة بعزيمة صادقة وغيرة صحيحة . ولما بلغ التاسعة من عمره دخل مدرسة الكنيسة فى « داڤِنْتَر » حيث أشرب فى قلبه حب العلوم الجديدة علوم النهضة الأدبية ، وحيث وصل من العلم باللغتين الإغريقية واللاتينية إلى غاية بعيدة . ولقد تمكن فيما بعد أن يرحل الى باريس لدراسة العلوم الدينية والآداب القديمة ،

فانخرط فى سلك جامعتها ، وصادف فى دراسته نجاحاً أى نجاح ، ثم تطلعت نفسه إلى ورود مناهل العلم فى بلاد أخرى ، فذهب إلى انجلترا حيث درس فى جامعة اكسفورد ثم إلى ألمانيا وايطاليا وجهات أخرى كثيرة .

ولقد ظل جميع حياته مكبًّا على تحصيل العلوم ، لا تهن عزيمته ، ولا تفتر همته ، على قلة مال وضيق حال . بلغ به حب العلوم أن كان يحرم نفسه ضرورات الحياة فى سبيل اقتناء الكتب . ومما يؤثر عنهُ فى ذلك قوله : « إذا وصلت يدى إلى مال عمدت أولاً إلى إنفاقه فى شراء الكتب ، فإن زاد شىء بعد ذلك أصلحت به ثيابى » .

أعماله فى سبيل خدمة التربية ونشر العلوم :

خدم إرزمس التربية وترك فيها آثاراً حسنة باقية. ولقد لجأ فى ذلك إلى الوسائل الآتية :-

(١) التعليم : فإنهُ فى أثناء رحلاته إلى باريس واكسفورد كان له تلاميذ مختصون بهِ ، يقوم بتعليمهم وتربيتهم ، ولقد كان أولَ معلم للعلوم الجديدة فى جامعة كمبردج ، وقد ظل سنوات عدة وهو يعيش عيشة العلماء الرحالين المتنقلين ، فطاف فى كثير من بلاد أوربا فى انجلترا وفرنسا والأراضى المنخفضة وسويسرا وإيطاليا لا يبغى سوى الإفادة والاستفادة .

(٢) المراسلة : وذلك أنهُ اختار مدينة بازل إحدى مراكز الطباعة الرئيسة فى العالم لتكون مُقاما له فأقام بها العشرين سنة الأخيرة من حياته ، وكان فى أثناء ذلك على صلة كبيرة بطلبة العلم ورجاله فى الممالك النائية. فراسلهم ووصلهم بعلمه وأدبه ، حتى كان أثره فى التعليم ونشر المعارف من هذه الطريقة أبلغ من أثره حين كان على اتصال بالمدارس والجامعات .

(٣) التأليف لإنارة أذهان الجمهور : - لقد لجأ إرزمس إبَّان إقامته بمدينة بازل إلى تأليف الكتب والرسائل فى نقد الكنيسة وما انتشر بين رجالها من الجهل والفساد ، وفى التنديد بما ساد المجتمع من أنواع السيئات . ومن جمال كتبه أنهُ لم يقصر كلامه فيها على النقد والتنديد ، بل شفعهُ بتفصيل شاف فى الإرشاد إلى طرق الإصلاح والحث

على التماس الفضائل فى مطالعة آداب القدماء . ولقد كان نجاحه فى تشجيع النهضة وتحبيب علومها إلى الناس من هذه الطريقة ، يفوق نجاحه فى الطريقتين السابقتين . وليس هناك من بين العلماء والمؤلفين من كتب اكثر منهُ إلاَّ نفر قليل . على أنهُ لا يعرف فى التاريخ كاتب أو مؤلف رزق فى تأليفهِ مثل سعادته ، فقد عاش حتى رأى كتبه تنتشر بين الناس هذا الانتشار الواسع العجيب . ولقد كان أسلوبه فى أغلب مؤلفاته نقديّاً تقريعيّاً يشوق القارئين ، و يستميلهم إلى المطالعـــة . ومن أشهر مؤلفاته التى ظهرت على هذا الأسلوب ما يأتى : —

ا مدح الجهالة : وهو مؤلف نقدى تقريعى كتبه ليسخر فيه من جهالة الرهبان ، وما انغمسوا فيهِ من أنواع المفاسد .

ب المحاورات : وهى جملة بحوث تحاورية بين فيها العيوب المنتشرة فى الكنيسة والحكومة والمنزل والجامعات

ح الأمثال : وهى مجموعة من أقوال الإغريق والروم القدماء تتلخص فيها حكمتهم ، وقد اختار هذه الأقوال وأردف كل قول بما يحتاج إليه من شرح وتعليق ليكون ذلك مرشداً إلى إصلاح ما هو سائد بين الناس من أنواع الفساد .

ء كتب المحادثات القصيرة : وهى جملة من الكتب تعالج موضوعات مختلفة دينية وخلقية . ولقد كانت هذه المؤلفات من أكبر الوسائل التى أصبح بها إرزمس قوة عظيمة من قوى الإصلاح فى زمنه لايفوقه فى ذلك سوى مَرْتِن لوثر . وقد جهد جميع حياته أن ينير أذهان الجمهور وأن يقدم إليهم من الكتب المقدسة ما هو محرر خال من كل خطأ وتحريف .

(٤) الإكثار من طبع كتب الآداب الإغريقية واللاتينية . وقد كان غرضه من ذلك أن يقدم للناس معارف صحيحـة محررة عن آداب هاتين الأمتين وعلومهما وأن يختار من كتبهم ما يساعده على بيان ما فى زمنه من ضروب الفساد وأنواع التقييد .

(٥) تأليف الكتب المدرسية : فقد ألف كتباً فى قواعد اللغتين القديمتين وكتباً أخرى للمطالعـة والقراءة فى المدارس . ومن أشهر هذه الكتب وأكثرها انتشاراً

بين التلاميذ كتاب المحاورات . و يعد هذا العمل من أكبر أعماله التى ساعدت فى إنهاض التربية والتعليم .

(٦) بحوثه فى موضوعات التربية : فقد عالج كثيراً من مسائل التربية ومشاكلها ، وترى ذلك مبسوطاً كل البسط فى بعض من كتب المحاورات والمحادثات ، وفى كتابه المدعو « طرق الدراسة » ، وفى كتاب التربية الحرة الكاملة للأطفال .

آراؤه ومبادئه فى التربية

لإرزمس آراء سديدة ، ومبادىء نبيلة فى التربية عُنى بها زعماء المربين الذين أتوا بعده ، ولا نغالى إذا قلنا إنه ليس من بين أئمة التربية فى القرنين السادس عشر والسابع عشر إلاَّ من نظر فى تربية هذا البطل ، وفكر فى آثارها ، وإليك مجمل آرائه :—

(١) فى مؤلفات الإغريق والروم ورجال الدين وفى الكتب المقدسة ما يكفى لهداية الناس فى هذه الحياة ، وفيها جميع ما يُحتاج إليه فى إصلاح الفساد المنتشر بين الناس على شرط أن يرجع الناس فى دراستها إلى أصولها الصحيحة لا إلى تراجمها المحرفة المشوهة . وعلى هذا فأهم الأعمال المدرسية تنحصر فى دراسة مختارات كثيرة من هذه المؤلفات دراسة متقنة يصل بها الانسان إلى روح ما فيها من المعانى والأفكار . أما الدراسة المقصورة على تعرف الصيغ الكلامية ومافيها من وجوه البلاغة فلا تنفع فى شىء

(٢) يجب أن تتخذ قواعد اللغة أساساً لجميع الأعمال المدرسية ، على شرط أن يُتَّبع فى دراستها من الطرق ما يساعد على تحصيل الآداب .

(٣) يجب أن يستعان بدراسة الطبيعة والتاريخ وأحوال الحياة الحاضرة على إيضاح ما حوته الآداب القديمة من علوم ومعارف ، كما يجب أن يستعان بدراسة هذه الآداب على إصلاح المجتمع .

(٤) لا بد من بذل الوُسع فى نشر العلوم والمعارف بين الناس نشراً فسيح المدى ، وأن ينال منها النساء حظاً وافراً أسوة بالرجال .

(٥) يجب أن يعنى كل العناية بالغرض الخلقى من التربية ، وأن تنال التربية الدينية نصيباً وافراً من عناية المربين

(٦) على المربين أن يتجافَوا عن الطرق الوحشية المألوفة فى تأديب التلاميذ ونظامهم ، وأن يسلكوا طرقًا أخرى أقرب إلى الحنان والرحمة

(٧) دراسة طبائع الأطفال أكبر عون للمعلمين على النجاح فيما يعانونه من أعمال التربية .

(٨) الأم هى المربية الطبعية للطفل فى سنواته الأولى . وكل امرأة لا تشغل نفسها بتربية أبنائها ولا تُعنَى بتنشئتهم فهى نصف امرأة .

(٩) يجب أن يظل الطفل إلى السابعة من عمره وعماد تربيته اللعب ، فإن اللعب خير عون على إنماء جسمه .

(١٠) إذا وصل الطفل إلى السابعة من عمره وجب على مربيه أن يأخذه بكثير من الأعمال الجدية ، وأن يسارع إلى تعليمه اللغتين الإغريقية واللاتينية معًا ، فإن تعليم اللغات فى الصغر يسهل على الحدث النطق الصحيح ، ويعينه على سرعة تعليق المفردات والتراكيب .

(١١) يجب أن يهتم بإعداد المعلمين إعداداً صحيحًا كاملاً ، وأن تزاد رواتبهم زيادة تلائم أعمالهم العظيمة النافعة ، وأن توجَّه العناية إلى إصلاح أماكن الدراسة ومعاهد التعليم .

(١٢) ينبغى أن يُجْهِد المربون نفوسهم فى تربية قوتى الحفظ والذكر فى الأطفال. ووسائل هذه التربية ثلاث : —

(١) فهم موضوعات الدراسة فهمًا صحيحًا متقنًا .

(٢) ترتيب المعانى والأفكار فى الذهن ترتيبًا منطقيًّا

(٣) مضاهاة الحقائق وقياس بعضها إلى بعض ، والبحث فيما بينها من وجوه الاتفاق والاختلاف .

(١٣) كما يطوف النحل على الأزهار المختلفة الكثيرة ، ويتنقل بين أفنان الأشجار يجمع منها العسل الذي يريده ، كذلك ينبغى أن يكون حال الإنسان فى تحصيل العلوم ، فعليه أن يرد موارد مختلفة ، وأن ينهل من كل منهل .

(١٤) تربية البنات واجبة ، وأول واجب فى تربيتهن غرس الإحساس الدينى فيهن ، والواجب الثانى حمايتهن من الدنس والفساد ، والواجب الثالث حفظهن من البطالة والكسل .

رجال التربية الأدبية فى انجلترا أزمان النهضة

لم يكن بين رجال النهضة فى انجلترا من يصح عده زعيما من الزعماء الذين سار ذكرهم ، وبَعُد صيتهم . فلا عجب أن كان رجال تربيتها فى ذلك الوقت من النفر الذين لم تتعد آثارهم حدود بلادهم . ومن أشهرهم « وليم جُرُوسين » . و « حَنّاشيك » و « روجر أسكام » ، ولنترجم للثالث من هؤلاء فإنه أعظمهم أثراً ، وأبعدهم ذكراً .

رُوجَر أسْكام

هو أشهر رجال التربية فى انجلترا فى ذلك الوقت ، ويرجع سر شهرته إلى أمرين : — أولها أنه كان من أسبق كتاب الانجليز الذين كتبوا رسائل فى التربية بلغتهم الوطنية ، وثانيهما أنه امتاز بأسلوب كتابى سهل ممتنع جعل له مكانة عالية بين متأدبى عصره .

ولد روجر أسكام سنة ١٥١٥ ، ودرس علوم النهضة فى كمبردج ، ونبغ فيها حتى خلف أستاذه « حنّاشيك » فى تدريس اللغة الإغريقية بهذه الجامعة . وفى سنة ١٥٤٨ اختير معلماً للأميرة اليصابت (ملكة انجلترا فيما بعد) . ولم يمض على ذلك غير قليل حتى اختير ناموساً لاتينياً للملك ادوارد الرابع ، ثم للملكة مارى ، ثم للملكة اليصابت على التعاقب .

ومن أشهر آثاره التى خلدت ذكره رسالة فى التربية كتبها بأسلوبه البيّن ، ودعاها « المعلم » وضمنها آراءه ومبادئه فى التربية العلمية والعملية ، لكنها لم تنشر على الناس الا بعد وفاته بسنتين ، نشرتها أرملته سنة ١٥٧١ . ويعد هذا الكتاب من أسبق الكتب التى أُلّفت فى التربية ، وقد قسمه مؤلفه قسمين ، خصّ الأول منهما بوضع مبادىء عامة يسار عليها فى تربية الأحداث ، والثانى بشرح طريقة سديدة فى تعليم اللغة اللاتينية .

وعلى الرغم من قَصْرِه التربية فى كتابه على التربية المدرسية كما يدل على ذلك عنوان الكتاب ، فقد وضع لها من الأغراض ما لا يختلف عن أغراضها عند رجال التربية الأدبية فى الممالك الأخرى ، فقرر أن غاية التربية الفضيلة والقدرة على الأخذ بنصيب وافر من أعمال الحياة الاجتماعية ، غير أنهُ يرى أن مطالعة الآداب هى أقوم الوسائل لتحصيل هذه الغايات. ولقد عاب فى كتابه هذا ما كان مألوفاً فى المدارس و بين رجال التعليم فى زمنه من مخاشنة الأطفال والقسوة عليهم فى التعليم ، وأوجب أن تُسلك سياسة اللين والرفق فى معاملتهم فإن ذلك أصلح للأخلاق وأنجح للتعليم . ومن آرائه فى تعليم اللغة اللاتينية أن يعتمد فى دراسة قواعدها على أمثلة كثيرة مختارة من أقوال الكتاب المجيدين لا على مجرد شرح القواعد والتعاريف، وهو رأى أصيل أخذ بهِ المعلمون وجعلوه أساساً لتدريس اللغات فيما بعد . وله فوق ذلك إرشادات ونصائح أخرى فى طرق التعليم كثيرة الشبه بآراء إرزمس ، ولذا لا نرى حاجة إلى إعادتها .

كان أسكام شديد الشغف بلغة وطنه يجيد الكتابة والتأليف بها كل الإجادة ، و يفضلها فى ذلك على اللاتينية ، وقد وصف الناس أسلوبه الأدبى الذى كتب به كتابه السالف الذكر بأنه أول أسلوب سهل مهذب ظهر فى اللغة الانجليزية . وقد كانت وفاته سنة ١٥٦٨ .

مدارس النهضة الأدبية

كان أولَ مظهر لتأثير النهضة فى التربية أن سرى روحها فى معاهد التعليم المنتشرة وقتئذٍ ، ولا سيما الجامعات والمدارس البلدية الحديثة العهد على ميل فى بعضها الى حب القديم والجمود عليه . ثم تلا ذلك إنشاء أنواع جديدة من المدارس تلائم الروح الجديد كل الملاءمة ، وتطابق الأفكار التى جاءت بها النهضة كل المطابقة ، و بذا فشت مدارس التربية الأدبية وأصبح لها غلبة وسلطان ، إلا أن ذلك التغير الأخير لم يأت إلاَّ بعد أن أخذت حركة النهضة تندمج فى حركة الإصلاح الدينى. ومن هنا كان لهذه المدارس اتصال وثيق بهذا الإصلاح .

زهت هذه المدارس أزمانًا ، ولكنها ما كادت تبلغ نهاية القرن السادس عشر حتى ظهرت على التعليم فيها مسحة من التقيُّد كبَّلَت أساليبه ومناهجه بقيود لا تقل فى شدتها عن قيود التعليم فى القرون الوسطى . وقد ظل التعليم على هذا النمط المقيَّد أجيالاً عدة ولم تقم للناس قيامة عامة ضده إلا بعد أن مضى من القرن التاسع عشر جزء يذكر . نعم ظهرت فى أثناء ذلك آراء حديثة فى التربية ، ولكنها لم تأخذ مأخذاً عمليًّا واسعًا ، بل لم تزد على أن كانت مظهراً من مظاهر الاعتراض والطعن على أساليب هذه المدارس ونُظُمها ومناهجها الضيقة المقيدة .

الجامعات

ينطبق هذا القول العام على الجامعات كل الانطباق ، فقد كان لما جرت عليه قديمًا من التقاليد الخاصة أثر شديد فى مقاومة روح التعليم الحديث أزمانًا طويلة . نعم ضعفت هذه المقاومة على مر الأزمان ، ووجدت العلوم الحديثة فيما بعدُ سبيلها إلى هذه الجامعات ، إلا أن القيود التى تقيدت بها هذه المعاهد فى مناهجها وأساليبها ونظمها وأغراضها بقيت مرعية بعض المراعاة على الرغم مما حدث فيها من التغيير الكثير . وأهم ما حدث فيها من أنواع التغيير تعديلُ مناهج الدراسة بإضافة الآداب واللغات القديمة إليها وبخاصة اللغة الإغريقية ، وتحويلُ دراسة اللغة اللاتينية من صبغتها الدينية إلى صبغة أدبية .

(١) جامعات إيطاليا : كانت جامعات إيطاليا ولاسيما جامعات پاڤيا ، وفلورنس ، وپادوا ، وميلان ، وروما ، أسبق الجامعات إلى الترحيب بعلوم النهضة ، وأول موطن دائم لها . ولقد كان لبترارك وبوكشيو أعظم أثر فى إدخال الروح الجديد إلى الجامعات الإيطالية ، فبفضل ما كان لهما من التأثير القوى أخذ العلماء والطلاب فى هذه الجامعات يحوِّلون وجوههم عن دراسة القانون وفنون البلاغة والبيان إلى دراسة المؤلفات الإغريقية واللاتينية دراسة متقنة صحيحة لا ترمى إلى تعرف الألفاظ والأساليب فحسب ، بل تقصد فوق ذلك إلى تحصيل ما كان للأقدمين من علوم ومعارف وآراء ، وإلى تفهم طرقهم وأساليبهم فى الحياة .

وقد أصبحت دراسة اللغة الإغريقية فى القرن الخامس عشر عامة منتشرة فى جميع البلاد الإيطالية فى جامعاتها ومدارسها ، إلاّ أنه ما كاد القرن السادس عشر يبتدىء حتى أخذت دراسة الآداب القديمة فى هذه الجامعات تنحط وتتنزل إلى الحالة المعروفة فى التربية الأدبية القاصرة .

(٢) جامعات فرنسا : كانت فرنسا سريعة إلى الأخذ بعلوم النهضة وآدابها ، وقد سهل ذلك عليها أمران : أولها الصلات الجنسية بين الأمتين الفرنسية والايطالية ، فكلتاهما من أصل لاتينى . وثانيهما العلاقات والروابط السياسية التى تمكنت بينهما منذ غزا شارل الثامن ملك فرنسا مملكة نابلى سنة ١٤٩٤ . ولهذا أخذت العلوم والآداب القديمة تنتشر فى فرنسا انتشاراً واسعاً من بداءة القرن السادس عشر . على أن دراسة اللغة الاغريقية فى هذه البلاد يرجع تاريخها إلى زمن أسبق ، فقد أسّس فى جامعة باريس منصب لِلُّغة الاغريقية ، شغله أحد العلماء الايطاليين سنة ١٤٥٨ ، ولكن الاهتمام بهذه اللغة لم يبلغ شأواً يذكر فى هذه الجامعة إلاّ بعد زمن الغزو ، حين أخذ العلماء والمحترفون بالطباعة من الفرنسيين يقودون الحركة الجديدة داخل الجامعات وخارجها .

(٣) جامعات ألمانيا : لم تجد دراسة الآداب القديمة فى البلاد الألمانية أول الأمر من التشجيع ما وجدته فى فرنسا ، ولكنها لم تلبث أن وجدت أنصاراً ذوى نفوذ أخذوا بيدها ، فاستمالوا الناس إليها ، ورغبوهم فى الاقبال عليها ، وبذلك وجدت سبيلها إلى الجامعات ومعاهد التعليم . وقد أسّسَ أول منصب لدراسة هذه العلوم فى جامعة « إرْفُرْت » سنة ١٤٩٤ ، وقد كان يدعى وقتئذ بمنصب الشعر والبلاغة . ولما أنشئت جامعة « وِتّنبِرْغ » سنة ١٥٠٢ سارت على مبادىء النهضة من مبدأ نشأتها . ولم تأت سنة ١٥٢٠ حتى كان للتعليم الحديث أثر يذكر فى كل الجامعات الألمانية ، وله المكان الأرفع فى كثير منها .

(٤) جامعات إنجلترا : أول من قام بنشر التعليم الحديث فى إنجلترا طائفة من الطلاب الذين رحلوا إلى إيطاليا فى طلب العلم . ومن أعظم هؤلاء الطلاب أثراً « وِلْيَم جْرُوسِين » ،

و « توماس لِنَكْر » ، وقد ذهبا إلى فلورنس سنة ١٤٨٨ ، وبعد عودتهما اشتغلا بدراسة الآداب القديمة فى جامعة اكسفورد . أما جامعة كمبردج فلم تصلها التربية الادبية إلا عند اختتام القرن الخامس عشر، ولكنها لم تلبث أن بلغت شأو أختها فى ذلك . ولإرزمس الفضل الأكبر فى إدخال هذه التربية إليها ، فقد اشتغل بتدريس اللغة الاغريقية فيها من سنة ١٥١٠ إلى سنة ١٥١٣ . ومن علماء النهضة الذين أنجبتهم هذه الجامعة فى أوائل القرن السادس عشر رُوجَر أسكام ، وقد أسلفنا الكلام عليه .

مدارس الامراء والاعيان

كانت مناوأة الجامعات والمدارس الكنسية للتعليم الحديث سبباً فى نهضة الأمراء والأعيان به ، وقيامهم بتأسيس نوع جديد من المدارس يتمشى فيه الروح الحديث ، وينفسح فيه المجال للآداب والمعارف القديمة ، وكان ذلك ظاهراً جلياً فى المملكتين الإيطالية والألمانية .

فى ايطاليا : نفقت سوق هذه المدارس فى كثير من الولايات الايطالية الصغيرة، إذ قد تنافس أمراؤها وأعيانها فى دعوة علماء النهضة إلى قصورهم ، وتشجيعهم على تأسيس مدارس للآداب والمعارف القديمة تحت رعايتهم . ولقد عظمت المنافسة فى ذلك بين الأمراء حتى أصبحت قصورهم فى فلورنس ، وفيرونا ، وپادوا ، وڤنيس ، وباڤيا ، وغيرها من المدن الكثيرة ، تزدهى بما يتصل بها من المدارس الحديثة ، وبمن يتردد إليها من العلماء . ولقد كانت مبادئ هذه المدارس ونظمها تشبه كل الشبه تلك المبادئ والنظم التى سار عليها ڤترينو فى مدرسته ، فقد كانت تعنى كل العناية بتربية الجسوم ودراسة الآداب ، وتميل بالتربية الى وجهة اجتماعية ، حتى لقد كانت نتيجة ذلك أن امتزجت فيها مبادئ الفروسية القديمة بمبادئ التربية الأدبية الحديثة . أما الصلات بين هذه المدارس وبين الجامعات فقد كانت تختلف كثيراً ، فبينما كان كثير من هذه المدارس ينافس الجامعات ويباريها ، كان بعض منها يصل أعماله بأعمالها ، ويسير هو وإياها على توافق تام ، ولا سيما الجامعات التى كان لها اتصال بقصور الامراء .

فى ألمانيا : كانت مدارس الأمراء التى أسست فى ألمانيا فى أوائل القرن السادس عشر تشبه مدارس الأمراء الإيطاليين فى أغراضها ومناهجها ونفوذها المطلق بين تلاميذها وكذلك فى روحها السائد فيها ، وكانت تخالف المدارس الألمانية التى كان لها السلطان والغلبة أيام النهضة من وجوه عدة تتلخص فيما يأتى : —

مدرسة من مدارس الأمراء فى ألمانيا

(١) لم تكن تابعة للسلطات البلدية كما كانت مدارس الآداب ، وإنما كانت تابعة للقصور الملكية رأساً .

(٢) كانت كلها مدارس داخلية ، ولذا كان مجالها أوسع ، ونفوذها أعظم فى سياسة تلاميذها وتصريف أمورهم .

(٣) كانت ترمى إلى تكوين أبطال وزعماء يسوسون أمور الكنيسة والحكومة .

(٤) كان تلاميذها فى الغالب من أولاد الأمراء والأشراف .

(٥) كانت مناهجها أوسع من مناهج الدراسة فى مدارس الآداب ولا تَقِلُّ عن مناهج الجامعات .

هذا ولم تكن هذه المدارس كثيرة العدد فى البلاد الألمانية ، ومن أشهرها مدارس فُرتا . و مِيسِن . وجُرِمَّا .

مدارس الآداب

هذه هى أهم أنواع المدارس الأدبية فى الممالك التيتونية ، وتعد إلى وقتنا هذا أحسن أنواع المدارس الثانوية فى هذه الممالك ، وقد تكونت من المدارس البلدية العالية والمدارس الكنسية السائدة فى البلاد وقتئذ ، ولكن بعد تغيير فى مناهجها وتوسيع فيها بإضافة

اللغتين الإغريقية والعبرية ، واستبدال الآداب بعلوم الفصاحة والبيان ، واستعاضة الرياضة من صناعة الجدل .

وقد دخل هذا التغيير فى مدرسة «نورنبرغ» البلدية سنة ١٤٩٥ بإضافة الشعر إلى مناهجها . ثم تلا ذلك إدخال الشعر والخطابة إلى جميع المدارس العالية فى المدينة . وفى سنة ١٥٢١ أضيفت اللغات الإغريقية واللاتينية والعبرية إلى المدارس الكنسية القديمة . وما هى إلاّ فترة قصيرة ثم فشا هذا التغيير فى كثير من مدارس المدن الأخرى ، حتى أصبحت مدارس الآداب علَماً على المدارس التى دخلها هذا النظام الحديث .

مدرسة الآداب فى استراسبرغ : - هى أعظم مدارس الآداب أثراً ، أسسها « جون اشتِرْم » (١٥٠٧ - ١٥٨٩) سنة ١٥٣٨ ، وتولى إدارتها بنفسه نحو أربعين عاماً . وقد قسمها إلى تسع فرق ، وزع فيها العمل توزيعاً مراعى فيه أسنان التلاميذ ومداركهم . وقد كانت أعماله فى المدرسة ترمى إلى إجادة اللغة اللاتينية . وإقدار تلاميذه على محاكاة شيشيرون فى الكتابة والخطابة . ولذلك عنى كل العناية بدراسة الآداب اللاتينية ، فأكثر من تمرين تلاميذه على الخطابة والجدل وكتابة الرسائل والكلام فى المحافل ، وأخذهم بقراءة كثير من المؤلفات اللاتينية التى كتبها رجال البلاغة وفرسان البيان من الروم. وقد كانت مدرسته واسعة النطاق تحوى من التلاميذ ما يربى على ألف نسلوا إليها من كل حدب ، وكثير منهم من الأشراف والأعيان . وقد نبغ على يديه كثير من الأبطال والزعماء الذين قادوا الحركة الفكرية فى زمنه .

وقد ذهب إلى أن مقاصد التربية ثلاثة : التقوى ، والمعرفة ، والفصاحة . وأراد بالتقوى احترام الدين ، والقيام بفرائضه ، والعلم بأصوله وقواعده ، وأراد بالمعرفة العلم باللغة والآداب اللاتينية ، وبالفصاحة القدرة على استعمال هذه اللغة فى أغراض الحياة استعمالاً صحيحاً . وقد دخلت آثاره إلى مدارس القرن السادس عشر بوسائل كثيرة منها ما يأتى : -

(١) المعلمون الأكفاء الذين نبغوا على يديه ، وانتشروا فى كثير من الجهات يعلمون وينشرون مبادئه .

(٢) منهاج الدراسة الذى وضعه لمدرسته ، والذى اتخذته المدارس الأخرى مثلاً أعلى تحاكيه .

(٣) كتبه المدرسية المدرّجة على نظام لم يعرف أحكم منه .

(٤) مراسلة الملوك وكبار المربين . ومن الذين أكثر مراسلتهم من رجال التربية أسكام ومِلْنكتون .

(٥) نصائحه الخاصة بإنشاء المدارس ووضع أنظمتها .

كانت مدرسة اسْتِرْم من المدارس التى سارت على مبادئ التربية الأدبية القاصرة ، فلم يلتفت فيها إلى اللغة الوطنية ، ولم يعن فيها إلاّ قليلاً بدراسة الجغرافيا والرياضة . وقد دخلتها اللغة العبرية بعد تأسيسها بسنوات ، فكانت بذلك تمثل مدارس الآداب فى القرن السادس عشر . ولما اختصر فيها منهاج الآداب تدريجًا لإدخال الرياضة أولاً ، واللغة الوطنية والتاريخ ثانيًا ، والعلوم الطبعية ثالثًا ، أصبحت تمثل مدارس الآداب من ذلك الحين إلى وقتنا الحاضر .

المدارس العامة الانجليزية

هى نوع من المدارس الثانوية الإنجليزية كثير العدد ، قديم العهد ، يرجع تاريخ بعضه إلى ما قبل ظهور النهضة فى انجلترا ، إلا أن الروح الحديث لم يتمش فيه إلا بعد أن أنشئت مدرسة القديس « بولص » فى لندرة سنة ١٥١٢ ، وتعد هذه المدرسة أول مدرسة أنشئت لدراسة الآداب القديمة ، أنشأها « جون كُلِتْ » أحد زعماء النهضة المتقدمين فى هذه البلاد ، ووضع لها من المقاصد والمناهج وطرق الدراسة ما جعلها نموذجًا يحاكى فى كل المدارس العامة الأخرى . ومما زاد فى شهرة هذه المدرسة ذلك الكتاب القيم الذى وضعه كبير أساتذتها « وِلْيَم لِلِى » فى قواعد اللغة اللاتينية ، فقد أقبلت جميع المدارس الإنجليزية على دراسته أجيالاً عدة ، واتخذته أساسًا لتعليم اللغة اللاتينية ، فكان بذلك عاملاً من العوامل التى ساعدت فى تخليد آثار المدرسة وآثار مؤلفه معًا

كانت انجلترا فى الوقت الذى أُسِّسَتْ فيهِ مدرسة القديس بولص تموج بالمدارس العامة موجًا . فقد كان فيها وقتئذ نحو ثلثمائة مدرسة ، جميعها على اتصال بالكنيسة ، وكلها يرمى إلى تخريج قساوسة ورهبان . وقد اشتهر من بين هذه المدارس العامة تسعة كانت تدعى المدارس العامة العظيمة ، ولا تزال توصف هذا الوصف إلى الآن ، وهى : وِنْشِسْتِر - إِيتُن - القديس بولص - وِسْتْمِنِسْتَر - هَرُو - تْشَارْتَرْهَوْس - رَجْبِي شْرُوزْبِرِى - مِرْشَانْت تِيلَر

كانت هذه المدارس العامة جميعها فى بدء أمرها دينية تشبه مناهجها مناهج المدارس الكنسية فى القرون الوسطى . ولكنها بعد أن أنشئت مدرسة القديس «بولص» لم تلبث أن سرى إليها نفوذ هذه المدرسة الجديدة فاتجهت وجهتها ، وأصبحت تمثل مدارس التربية الأدبية القاصرة التى مر بك شرحها . وقد ظلت على هذه الحال أزمانًا طويلة لا عناية فيها بغير الآداب . وهى وإن غيرت مناهجها الآن بعض التغيير فانفسح فيها المجال لدراسة علوم الرياضة والعلوم الطبعية واللغة الوطنية واللغات الأجنبية الحديثة ، لا تزال للآداب القديمة فيها المكانة العليا بين المواد الدراسية .

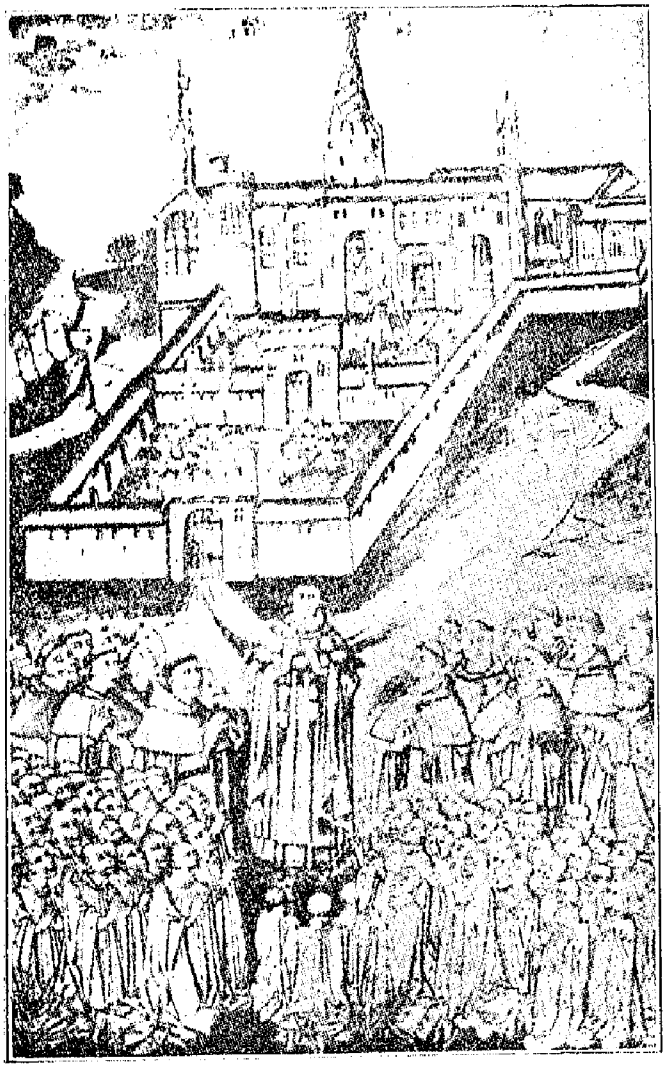

مدرسة ونشستر

وهى أولى المدارس العامة العظيمة الإنجليزية (١٣٨٧)

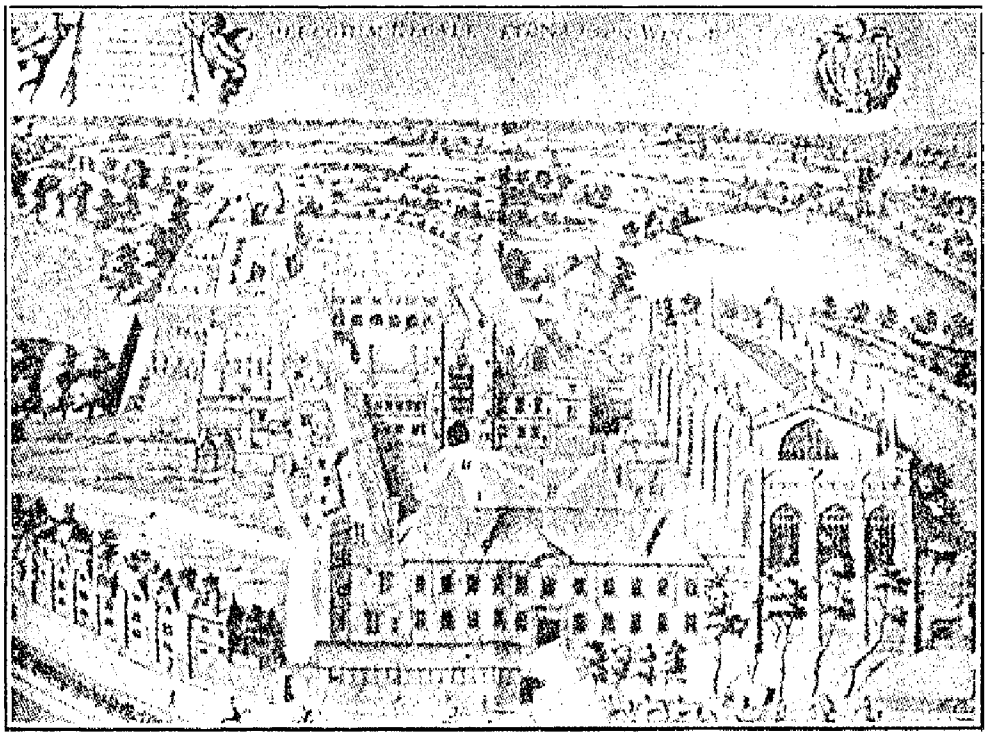

مدرسة إيتن

وهى إحدى المدارس العامة العظيمة الانجليزية (١٦٨٨)

مدارس الآباء اليسوعيين

تعد هذه المدارس أيضًا من مدارس النهضة الأدبية ، وسيأتى لنا فيها بيان مسهب عند الكلام على التربية فى عهد الإصلاح الدينى .